



- يكفيوني أنني فقدتُ أخي؛ أنا "بطلت ثورة"!

- وأنا يكفيوني أنني خسرت مالي وانتهيتُ مشرداً مختوماً على جبني بختم الدوام: لاجي؛ أنا "بطلت ثورة"!

- أنا يكفيوني أنني خسرتُ زوجي، وأقف شهرياً ليومين أو ثلاثة أمام الجمعية أخشى أن تفوتي الكفاله لأيتامي؛ أنا "بطلت ثورة"!

- صحيح أنني لم أكن أكثر من عنصر أمن؛ لكنني كنتُ في خيرٍ وعزٍّ وسلطة، وأعلنتُ انشقاقي نصرةً للثورة، لكنني انتهيتُ ولا أحدَ يردّ على السلام أو يُلقي لي ثمن الخبر؛ أنا "بطلت ثورة"!

- صحيح أنني كنت معلمةً، لكن رواتبنا تحسّنت في آخر فترة، وصرتُ مع زوجي نكسب من الدروس الخصوصية أكثر من الراتب، وترانا اليوم بشهادات تملأ مصنفات ولا شغل؛ نحن "بطلنا ثورة"!

- بقينا لسنواتٍ في الحصار، ولو لا أننا أخرجنا ما خرجنَا، لكننا ظننا أننا في حصارنا وجوعنا ندافع عن البلد كلها، وأن الناس سيحملوننا على أكتافهم، فصرنا نعمل ليل نهار لدرك أجرة البيت ولا ندركها؛ نحن "بطلنا ثورة"!

- ثورة أيش وأنا وأهلي كل واحد في بلد، حتى موتنا شتتوا؛ فوالدي تُوفي في لبنان ودُفن هناك فحرمنا من بركته حياً ومن زيارة قبره ميتاً، وزوج اختي تُوفي بالسرطان في مشافي ألمانيا ودُفن هناك فما حضر جنازته إلا أبناءُه وبضعة رجال، وأنا إن متُ هنا فليس عندي غير أولادي وبعض الأصدقاء؛ أنا "بطلت ثورة"!

- يا أخي! كلهم حرامية ولصوص؛ جربتُ العمل مع المشايخ والعلمانيين، يبيعوننا الكلام المعسول ليأكلوا البيضة

وقد شرحتها، ودون أية عقود عمل أو مدونات سلوك أخلاقي؛ إلا اللهم ما نُبَرِّزُهُ لِلزَّائِرِينَ نُضْحِكُ عَلَيْهِمْ بِهَا؛ "أَنَا بَطَّلْتُ ثُورَةً"!

- كلّم أهون حالاً مني؛ فماذا بقي لي وقد خسرت ساقي ويدّي، ثم رُميـت في دار للجرحـى نجـاحـدـ أكثرـ منـ جـهـادـناـ النـظـامـ لـنـحـصـلـ عـلـىـ أـجـرـتـهاـ شـهـرـياًـ وـقـدـ تـرـكـتـنيـ زـوـجـتـيـ وـلـحـقـتـ بـأـهـلـهـاـ؛ـ "أـنـاـ بـطـّـلـ ثـورـةـ"ـ!

لا ثورة في التاريخ ينعدم كل ما سبق من بلاء؛ ولربما أكثر إن نظرنا في ثورات الأنبياء في مجتمعاتهم، لكن أحداً من الأنبياء أو الصالحين المصلحـينـ قالـ:ـ "ـبـطـّـلـ"ـ

الثورة فكرة، وال فكرة لا تموت ما دامت سُقِيت بالدماء، فلا بد أن تنمو وتُتمـرـ، ومحرومٌ من يترك "ـبـطـّـلـ ثـورـةـ"ـ قبلـ أنـ يـفـرـحـ بالـثـمـرـةـ.

نعم؛ مـنـ حـقـ المـصـابـ المـصـدـورـ وـالـمـبـتـلـىـ أـنـ يـنـفـثـ،ـ وـ"ـبـطـّـلـ ثـورـةـ"ـ لـاـ تـحـتـمـلـ أـنـ تـكـوـنـ أـكـثـرـ مـنـ زـفـرـةـ أـوـ نـفـثـةـ مـصـدـورـ؛ـ وـإـلـاـ فـمـنـ دـفـعـ تـلـكـ الـأـثـمـانـ مـنـ إـصـابـةـ وـالـقـتـلـ وـالـتـشـرـيـدـ أـنـ يـقـبـلـ بـنـصـفـ ثـورـةـ،ـ لـأـنـ نـصـفـ ثـورـةـ اـنـتـحـارـ كـمـاـ يـقـالـ.

نعم؛ أخطأ المشايخ والقادة والمسؤولون في العمل العسكري والعمل الإنساني والعمل السياسي، لكنها أخطاء لا تسقط الثورة من عيوننا، وإن انصرفنا إلى أعمالنا لإعالة أهليـناـ وأحـبـابـنـاـ فـهـذـاـ لـاـ يـعـنـيـ نـكـرـانـ الثـورـةـ أـوـ تـرـكـهـاـ،ـ فـلـنـرـجـعـ إـلـىـ إـلـيـمـانـ؛ـ فالـجـهـادـ لـيـسـ بـالـسـلـاحـ وـحـدهـ،ـ فـقـدـ يـفـتـحـ لـإـنـسـانـ فـيـ الجـهـادـ بـالـمـالـ مـاـ يـعـجـزـ عـنـ مـثـلـهـ فـيـ جـهـادـ الـيـدـ،ـ وـقـدـ يـفـتـحـ عـلـيـهـ فـيـ جـهـادـ الـكـلـمـةـ مـاـ يـفـوقـ مـنـ يـدـفـعـ مـالـهـ؛ـ دـوـنـ إـنـكـارـ فـضـيـلـةـ الـجـهـادـ بـالـيـدـ عـلـىـ أـنـوـاعـ الـجـهـادـ كـلـهـاـ.

لكن الحديث وقد طالت المحنة وأرهقت الناس، وتكاد الواقع تكون ثابتـةـ؛ـ فـمـنـ مـجـاهـدـ لـاـ يـرـضـىـ بـالـرـبـاطـ بـدـيـلـاـ،ـ أـوـ عـاـمـلـ فـيـ الخـدـمـاتـ إـلـيـانـيـةـ تـرـكـ شـهـادـتـهـ وـأـثـرـ الـانتـفـاعـ وـالـنـفـعـ؛ـ وـلـاـ ضـيرـ!ـ وـمـنـ عـالـمـ يـعـكـفـ عـلـىـ الـدـرـسـ وـالـتـحـقـيقـ لـيـخـرـجـ لـلـنـاسـ بـمـاـ يـهـمـهـ فـيـ التـواـزـلـ الـتـيـ تـطـرـقـهـ وـلـاـ أـثـرـ لـهـ فـيـ كـتـبـ الـفـقـهـ وـالـحـدـيـثـ،ـ أـوـ مـشـتـغـلـ فـيـ الدـعـوـةـ وـالـتـعـلـيمـ يـصـارـعـ الـحـيـاةـ لـيـكـمـلـ شـهـرـهـ بـلـاـ دـيـوـنـ تـضـطـرـهـ لـتـرـكـ مـهـنـتـهـ،ـ وـمـنـ تـاجـرـ رـجـعـ إـلـىـ تـجـارـتـهـ وـعـلـمـهـ فـهـوـ يـحـمـلـ نـفـسـهـ وـآخـرـينـ مـعـهـ.

وكل أولئك على خير ما لم يتركوا الثورة وأهلـهاـ؛ـ فـالـبـلـدـ لـاـ تـهـضـمـ عـلـىـ حـرـابـ الـمـجـاهـدـينـ وـحـدـهـ،ـ وـلـاـ بـأـقـلامـ الـمـعـلـمـينـ وـالـمـثـقـفـينـ وـحـدـهـ،ـ وـلـكـنـ!

لا يُبرر للتجـرـ عـادـ إـلـىـ عـمـلـهـ أـنـ يـنـسـيـ الـمـحـتـاجـينـ أـوـ يـتـعـالـىـ عـلـيـهـمـ بـمـاـ فـتـحـ عـلـيـهـ فـيـهـ،ـ وـلـوـ أـنـ كـلـ الـتـجـارـ السـوـرـيـينـ حـمـلـواـ مـنـ يـسـطـيـعـونـ لـأـكـتـفـيـ كـثـيـرـونـ عـنـ السـؤـالـ وـالـحـاجـةـ.

وـالـمـرـابـطـ اـرـتـضـيـ أـنـ يـقـىـ فـيـ فـوـهـةـ الـبـنـدـقـيـةـ لـيـقـاتـلـ عـنـاـ؛ـ نـعـمـ،ـ يـقـاتـلـ عـنـاـ جـمـيعـنـاـ،ـ فـبـمـاـ نـقـاـيـلـهـ؛ـ نـخـلـفـ فـيـ أـهـلـهـ بـخـيـرـ؛ـ فـنـقـدـمـ لـهـمـ مـاـ نـسـتـطـيـعـ مـنـ غـذـاءـ وـدـوـاءـ وـمـسـكـنـ وـتـعـلـيمـ،ـ وـلـاـ يـكـلـفـ اللـهـ نـفـسـاـ إـلـاـ وـسـعـهـاـ.

وـالـعـاـمـلـ فـيـ الـمـجـالـ إـلـيـانـيـ يـسـعـيـ وـيـرـىـ مـنـ الأـخـطـاءـ مـاـ يـبـعـضـ الـعـمـلـ إـلـيـهـ؛ـ لـكـنـ لـيـتـذـكـرـ أـنـ مـسـؤـولـ عـمـاـ اـئـمـنـ عـلـيـهـ،ـ وـلـاـ يـسـكـتـ عـنـ خـطـأـ وـأـحـتـيـالـ وـإـنـ كـلـفـهـ ذـلـكـ تـغـيـيرـ الـعـمـلـ مـرـاتـ وـمـرـاتـ،ـ وـلـيـنـظـرـ فـيـ فـرـحةـ الـمـسـتـفـيدـ وـدـعـوـاتـهـ لـهـ،ـ وـلـيـصـمـ أـذـنـهـ عـنـ وـابـلـ الشـتـمـ وـالـسـيـابـ؛ـ فـالـعـاـمـلـ فـيـ الشـائـنـ الـعـامـ لـابـدـ أـنـ يـتـصـدـقـ بـعـرـضـهـ،ـ فـإـنـ عـجـزـ عـنـ الـاـحـتـمـالـ وـرـأـيـ الـاـنـصـرافـ إـلـىـ عـمـلـ تـجـارـيـ فـلـيـسـ بـعـظـيمـ وـلـاـ خـرـوجـ عـنـ الـمـلـةـ؛ـ وـلـيـكـنـ لـلـمـحـتـاجـينـ خـيـراـ مـاـ كـانـواـ عـلـيـهـ مـنـ آثـرـ تـرـكـهـ لـهـ.

وـالـطـالـبـ يـنـصـرـفـ إـلـىـ درـاستـهـ وـجـامـعـتـهـ فـتـحـ اللـهـ عـلـيـهـ؛ـ وـلـكـنـ لـنـ يـعـجـزـ عـنـ مـنـاصـرـةـ الـثـورـةـ وـالـمـحـتـاجـينـ بـمـنشـورـ أـوـ كـلـمـةـ طـيـبـةـ،ـ وـلـعـلـ بـيـانـ الـثـورـةـ وـأـهـلـهـ فـيـ الـوـسـطـ الـذـيـ يـدـرـسـ فـيـهـ يـفـتـحـ بـهـ أـبـوـابـ تـعـزـ قـوـىـ الـثـورـةـ كـلـهـاـ عـنـ فـتـحـ مـغـالـيقـهـاـ.

والوالدان مع أولادهم في بلدان اللجوء ما يضرّهم لو أنهم تابعوا أخبار البلد والمحتجين، فقالوا خيراً وبذلوا ما يستطيعون؛ بعيداً عن البراءة من الثورة وأهلها والطعن في العاملين لأنهم بلغوا بر الأمان، وكأنهم لذلك ثاروا وخرجوا.

فَلتُقصِرُ الألسنة عن الحديث في الفتنة وغير المفيد، وتطول الأيدي في العمل؛ فما زال الحق غريباً منذ بدأ الدين، فلا نعجز لكثرة العاجزين المثبتين، ولا نسرق لكثرة اللصوص والمارقين، ولنجتهد في الممكِن المتاح؛ فهو المنوط بنا والمسؤولون عنه.

محال أن يبقى إنسان على حاله من النشاط والهمة بشكل متواصل في عمله؛ سواء كان عملاً لكسب القُوت، أو عملاً في وجوه الخير للناس، ولعله في أبواب الخير أجَلَ وأوضح؛ فقد يجد في كسب النقود وهو يراها بعينه تزيد في رصيده، ويفتر هناك لأن ثمار عمله قد تكون غير ملموسة بشكل مباشر!

ولعل العمل الذي تدخل به الجنة لم يأتِ بعد؛ فلا تفتر!

لعل الحجر التي سترقى بها نحو المعالي لم تضعها في البناء بعد؛ فأكمل!

لعل الإنسان الذي إن انتفع بك فيدعوك دعاء يرفع عنك الله به بلاه لم تجده بعد؛ فلا تبعد!

لعل إنساناً فقيراً أو يتيماً يجلس دون غذاء أو دواء لا يزال ينتظر لطرق بابه وتساعده؛ فما زلب نحوه!

لعل أرملةً أو ثكلىً ما زالت على سجادتها في خيمتها تسأل ربها إنساناً يشعر بألمها مع أطفالها يُجزى بذلك الجنة؛ فما زلوك ولكن أنت!

لعل طفلاً ينتظر من يدفع إليهم حقيبة وقرطاسية ليتعلم، فيكون قائداً في مسيرة الإعمار يرقب من يكفله مع ألف آخرين؛ فما زلب نحوهم ولا تفتر!

ولنذكر حديث (إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلَيَعْرِسْهَا)؛ فهو دستور في الهمة.

المصادر: